# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(عبرانيين ١:١٠-١٤؛ ٢:١-٣)

أنت يا ربُّ في البدءِ
أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ
هي صُنعُ يدَيْكَ* وهي تزولُ
وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى
كالثوبِ* وتَطويها كالرداء
فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن
تَفنى* ولِمَن مِنَ الملائكةِ
قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني
حتَّى أجعَلَ أعداءَكَ مَوطِئًا
لقدمَيْكَ* أليسوا جميعُهم
أرواحًا خادمةً تُرْسَلُ
للخدمةِ من أجلِ الذينَ
سيَرِثونَ الخلاص* فلذلكَ
يجبُ علينا أن نُصغيَ إلى
ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئَلاَّ
يَسرَبَ من أذهاننا* فإنَّها
إن كانتِ الكَلِمَةُ التي
نُطِقَ بها على ألسِنَةِ
ملائكَةٍ قد ثَبتَت وكلُّ تعدٍّ
ومعصيةٍ نالَ جزاءً عدلاً*
فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن
أهملنا خلاصًا عظيمًا كهذا
قد ابتدأَ النطقَ بهِ على
لسانِ الربِّ ثمَّ ثبَّتَهُ لنا
الذينَ سَمِعوهُ.

## حول الإنجيل

في الأحد الثاني من الصوم نقرأ في الفصل الإنجيلي قصة شفاء المفلوج الواردة في إنجيل مرقس (٢: ١-١٢)، والتي يمكن أن نفسرها من وجهة نظر أدبية، أي من خلال عرضنا للنص كما هو، ومن وجهة نظر أخرى روحية.

بعد أن حرّر يسوع رجلاً في المجمع في كفرناحوم، من الروح النجس، خرج خبره بسرعة (مر ١: ٢١-٢٨)، وصار الناس يطلبونه أينما ذهب، حتى أن الإنجيلي مرقس ذكر أن المدينة كلها اجتمعت أمام بيت سمعان بطرس حيث كان يسوع (١: ٣٣). وبعد أن خرج وجال في كل الجليل يكرز ويخرج الشياطين (١: ٣٨-٣٩) عاد إلى كفرناحوم. وعندما سمع الناس أنه في بيتٍ اجتمع كثيرون حتى لم يعد يسع ولا ما حول الباب، وكان يخاطبهم الرب يسوع بالكلمة (٢: ١-٢)، لأن هذا كان يشكل عمله الرئيسي، فالكرازة بالخلاص والدعوة إلى التوبة تتمّ بالكلام: «لم آتِ لأدعوَ أبرارًا بل خطأةً إلى التوبة» (٢: ١٧). رغم أن الجميع كانوا يسمعون لم يطع الكثيرون كلامه، فالناس عادة يحبون أن يسمعوا ما يناسبهم. هناك رغبة عند الناس في تعلّم الطريق المؤدية إلى الخلاص، لكن تحويل كلامهم إلى أفعال تعكس إيمانهم يقتضي جهدًا ونية صالحة لا تتوفر بسهولة خاصة عند أولئك الذين يبرّرون أنفسهم ويعتقدون أنهم عارفون كل شيء. مثل هؤلاء كان الكتبة والفريسيون اليهود الذين كانوا يستمعون إلى كلام الرب ويشاهدون العجائب ولكنهم يجدّفون عليه.

**العدد ٢٠٠٧/٩**
**الأحد ٤ آذار**
**الأحد الثاني من الصوم**
**(أحد القديس غريغوريوس بالاماس)**
**تذكار أبينا البار جراسيموس**
**الذي كان في الأردن**
**اللحن الخامس**
**إنجيل السَحَرْ الخ**

بعد ذلك أتوا إليه بمفلوج يحمله أربعة وبسبب الجمع الغفير لم يستطيعوا أن يصلوا إليه فاضطروا إلى كشف السقف ليقدروا أن يُنزلوا المفلوج إلى حيث كان الرب جالسًا. لكن في الوقت الذي كان المفلوج والناس الذين حوله ينتظرون من الرب يسوع أن يشفيه، كما كان يشفي الباقين، أراد الرب أن يعطيه شيئًا أعظم من الصحة الجسدية، ألا وهو مغفرة الخطايا، وخاصة بعد أن رأى يسوع إيمانهم: «قالَ للمفلوجِ يا بنيَّ مغفورةٌ لكَ خطاياكَ» (٢: ٥). وهذا كان دلالة على سلطة يسوع الإلهية، إذ إنه لا يستطيع أحد غير الله أن يغفر الخطايا بحسب الكتب المقدسة، وهذا ما أثار حفيظة بعض الكتبة

## الإنجيل

(مرقس ٢:١-١٢)

في ذلك الزمان دخلَ يسوعُ كَفَرْنَاحومَ وسُمع أَنَّهُ في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتَّى إنَّهُ لم يَعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحملهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أنْ يقتربوا إليهِ لسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعد ما نَقَبوهُ دلَّوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعًا عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّم هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلا الله وَحْدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكّرون هكذا في أنفسهم فقال لهم لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أنْ يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكنْ لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا (قال للمخلَّع) لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهبْ إلى بيتك* فقام للوقتِ وحملَ الحاضرين وأخذوا يفكرون في قلوبهم «لماذا يتكلَّمُ هذا هكذا بتجاديفَ، مَنْ يقدرُ أن يغفِرَ خطايا إلا الله وحدَهُ» (٢: ٧).

إلا أن الرب يسوع أراد أن يبرهن لهم أن ما يقوله ليس مجرد كلام لا يُعوَّل عليه، إذ إنه من السهل أن يُقال «مغفورة لك خطاياك»، ولكن الذي يستطيع أن يقرن القول بالفعل هو صاحب السلطان الإلهي، إنه «ابن الإنسان» الذي له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا (٢: ١٠). لذلك قال الرب يسوع للمفلوج «لكَ أقولُ قُمْ واحمِلْ سريرَكَ واذهبْ إلى بيتِكَ. فقامَ للوقتِ وحمَلَ السريرَ وخرجَ قُدّامَ الكلِّ حتى بُهِتَ الجميعُ ومجَّدوا الله قائلينَ ما رأينا مثلَ هذا قطُّ» (٢: ١١-١٢).

في فترة الصوم هذه نجد أنفسنا أحيانًا كالمفلوج الذي لا حول ولا قوة له، وخاصة عندما نستسلم للملذّات. فالذي يستسلم للملذّات هو مفلوج نفسيًا، على ما يقول القديس غريغوريوس بالاماس. وهو ملقى على سرير محبة اللذة، ويَظنُ أنه هكذا يكون في راحة جسدية. لكن عند اقتناعه بالنصائح الإنجيلية وعند اعترافه بخطاياه ينتصر عليها، وهكذا يداوي شلل النفس. عند ذلك يُحمل إلى الرب من قِبَل أربعة، على مثال المفلوج، أعني (١) دينونته الخاصة لنفسه، (٢) اعترافه بخطاياه السابقة، (٣) وعده بالابتعاد في المستقبل عن كل شرّ، (٤) وابتهاله إلى الله الرحيم. ولكن هذه الأربعة لا تستطيع أن تقرّبنا إلى الله إن لم ننبش السقف مزيلين التراب والمواد الأخرى. فالسقف بالنسبة لنا هو القسم العاقل من النفس لأنه أسمى ما يوجد فيها. هذا القسم فيه مواد كثيرة تغطيه، وله صلة وثيقة بالأرضيات وبالأهواء المختلفة. عندما تنكشف هذه المواد وتزول عن طريق العناصر الأربعة المذكورة أعلاه، عند ذلك نستطيع بالفعل أن نتوجه إلى الرب بعد أن نتواضع في الحقيقة وأن نسجد ونقترب إلى الرب ونطلب الحصول منه على الشفاء.

هكذا عندما يسجد الذهن الذي عانى الشلل، بإيمانٍ، يسمع للحال الرب يدعوه «يا بني» ويتقبّل منه الغفران والشفاء، ويحصل على القدرة التي تجعله ينهض ويحمل سريره على كتفه، أعني بالسرير الجسدَ المادي المرتبط به والذي يتمّم مشيئة الذهن الخاضع للشهوات الجسدية وأعمال الخطيئة.

لكن بعد الشفاء يسود الذهن المستنير بالرب على الجسد ويرشده فيصبح الجسد خاضعًا له ويُظهر الذهن عن طريق الجسد ثمار التوبة وأعمالها حتى أن الشهود على ذلك يمجّدون الله: «فليُضِئْ نورُكُمْ هكذا قدَّامَ الناسِ لكي يَرَوا أعمالَكُمُ الحسَنَةَ ويمجّدوا أباكُمُ الذي في السموات» (متى ٥: ١٦).

## الحياة الحقة

«إن عطِشَ أحدٌ فليُقْبِلْ إليَّ ويشْرَبْ، من آمنَ بي كما قالَ الكتابُ تجري من بطنِهِ أنهارُ ماءٍ حيٍّ» (يو ٧: ٣٧-٣٨).

يعلّم القديس غريغوريوس بالاماس، الذي نقيم تذكارًا له في الأحد الثاني من الصوم، أن «الحياة الحقة»، والتي يشاء الله أن يهبها للإنسان، تتخطّى بكثير المفهوم «البيولوجي» أو «الطبيعي» لما تسمّيه مجتمعاتنا المعاصرة «حياةً» أو ما ينبثق عن هذا المفهوم من قيم وأعراف وتقاليد. وهو لأجل هذا يسمّي زمن حياة الإنسان «زمن التوبة»، أي أنه

سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميعِ حتى دَهِشَ كلُّهم ومجَّدوا اللهَ قائلين ما رأينا مثلَ هذا قطُّ.

## تأمل

الله هو الذي خلق السماء والأرض. فكّر البعض أن السماء والأرض وُجدت بفعل الصدفة وبقوة ذاتية متحرّكة. لكن نحن أبناء الإيمان، لا مجال للشك عندنا بأن سبب وجود هذا العالم هو الله وحده. وفي الحقيقة كثرت آراء العلماء وتضاربت تعاليم الفلاسفة ولم يُجمعوا في وقت من الأوقات على رأي واحد، إذ كان كل رأي ينقضه رأي آخر ويخالفه تمامًا. هكذا سقطت كل الآراء بتفاعل ذاتي وتضارب غريب. هذه التعاليم لا تشرح لنا شرحًا وافيًا وصحيحًا وجود هذا العالم لأنها ترفض قول الرب: «في البدء خلق الله السماء والأرض» وبالتالي هي ترفض وجود الله الخالق. وقد تصوّر البعض أن هذا العالم الحافل بالخلائق الكثيرة وُجد دون ربّان يقوده ويوجّهه، ووُجد دون تدخّل كائن أعظم منه. وقالوا أيضًا إنه وُجد صدفة. وقد قادهم إلحادهم إلى غير ذلك من الآراء التي لا مجال للردّ عليها.

أما نحن فنؤمن بالله ونؤمن بأنه خلق السماء والأرض. فلنمجّد حكمة الخالق وعظمة الخليقة؛ إن جمال الخلائق المنظورة

فرصة للرجوع إلى الله وتنقية الفكر وتبديله، يعود فيها الإنسان إلى نفسه كما رجع الإبن الضال (لو ١٥: ١٧) فينأى عن أسباب الخطيئة ويقيم في هدأةٍ واستعداد حَسَن للانفتاح على محبة الله والعيش في نعمته.

«أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦) يقول المسيح، والحياة الحقيقية كما يوضح القديس غريغوريوس ما هي إلا حياة الإله المثلّث الأقانيم. هي قوة الله غير المخلوقة، وشركته الأزلية، وعطيّة روحه القدوس التي يشترك فيها الإنسان. من هنا يأتي تعريفه للموت بأنه واقع روحي. الموت انقطاع أو انفصال طوعي عن ينبوع الحياة الذي هو الله. الله لم يخلق الموت بل صنع الكائنات العاقلة، أي الملائكة والبشر، وحباهم عطية «الحياة الطبيعية»، ولكن ليس لكي يكتفوا بذواتهم بل ليعيشوا معه ويتلقّفوا منه «الحياة الحقة» أو «الحياة الإلهية» التي هي الشركة مع الله في محبته ونوره الأزليين. الله شاء أن يشاركه الإنسان بحياته الإلهية غير المخلوقة، والتي تفوق كل زمن وتصوّر. لكن المأساة دخلت على الواقع المخلوق، بحسب التقليد الكتابي الآبائي، حين اختارت جماعة من الملائكة، وبشكل طوعي، الاستغناء عن مشيئة الله والشركة معه. هذا الرفض لنعمة الله ولنوره أدّى مباشرة إلى حرمان هؤلاء من «الحياة الحقة الإلهية»، فأظلموا وصار عصيانهم البابَ لدخول الموت الروحي إلى كل الخليقة. ماتوا بالروح، وهذا هو المعنى الوجودي للخطيئة، وجلبوا الموت على كل من يتبنّى نهجهم في الاستقلال عن الله.

أما موت آدم وحواء الروحي فقد حصل عند انفصالهما عن ذكر الله وعدم طاعته وإصغائهما لمشورة الحية. هذا الحوار مع الشرّ أفسد ذهن الإنسان وفكره وحوّله عن الله وعن مشيئته، فسقط في الموت الروحي حين خالف الوصية الإلهية. هذا الأمر يليه، ولو بعد وقت، ناموس الفساد وموت الجسد.

فالإنسان بطبعه كائن يعطش إلى الله. ولكن الشوق الأصيل فيه إلى الارتواء من النعمة الإلهية تحجبه الخطيئة حينما تسود، فيضيّع الإنسان هدفه وينسى غاية وجوده، أي أن يصير ابنًا لله. يحيد عن مسيرة الاتحاد بخالقه. هذا الانفصال الروحي للإنسان عن مبدأ الحياة ينعكس في علاقة الإنسان مع ربّه، والتي إن وُجدت، لا تعود تقتصر إلا على لون خارجي من التديّن والعبادات العقيمة التي لا مفاعيل حقيقية لها في حياة الشخص البشري أو مجتمعه.

لذا يؤكّد القديس غريغوريوس بالاماس أن كل كلام عن الله لا معنى له إن لم يكن قائماً على أساس خبرة العودة إلى الحياة مع الله والاشتراك في نعمته. الإنسان مدعو أن يتطهّر ليحقّق في ذاته وعد الإنجيل بأن «طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله» (متى ٥: ٨). يعاينون نور المسيح الذي بدا على جبل ثابور وظهر للتلاميذ على جسد «الابن الوحيد» مجدُ الله الآب ومسرّتُه وحياتُه السرمديّة.

ففي سيرة التوبة يتذوّق الإنسان عذوبة محبة الله. وإن ثابر تقوّى وتشدد بالنعمة المحيية، ونال في داخله حياةً. حياة ليست من هذا العالم ولا يعرفها العالم. بل هي ضياء الثالوث القدوس ومجده. هي حياة القداسة التي تفيض كينبوع ماءٍ في محبّي المسيح. هذه «الحياة الحقة» بلغها رجال الله القديسون

تكشف لنا كم هو جميل الذي أوجدها؛ كما أن عظمة الأشياء المخلوقة تبيّن لنا طبيعة خالقها انها غير متناهية.

سمّر نظرك إلى السماء الصافية وأنت في سكينة الليل وتأمل النجوم المتناثرة في الفلك فتتأكد حينئذٍ أن الله هو الذي أبدع هذا العالم من الأفلاك ونثرها كالورود في السماء وجعل تأثيرها على الأرض والإنسان يفوق كثيرًا جمال دورانها ونظامها الدقيق المدهش. وإني أدعوك أيضاً إلى التأمل أثناء النهار في جمال هذا الكون وجمال ما فيه وللتفتيش عن الخالق فستصل دون شك إلى نتيجة واحدة وهي أن الله هو الذي خلق السماء والأرض وكل ما فيها...

انظر إلى السماء فهي بلا حدود ولا يقدر العقل البشري فَهْمَ طبيعتها ووصفها، فهل يستطيع عقلنا فَهْمَ ما هو أبدي. إن الشمس التي تزول هي عظيمة الأثر في حياة الإنسان والأرض ومنتظمة الدوران وبديعة الجمال، وهي العين التي تنير العالم كله. هكذا هو بديع الجمال وفائق الكمال السيد المسيح الذي دعته الكتب المقدسة شمس العدل.

**القديس باسيليوس الكبير**

وامتلأوا من سطيع ضيائها، إذ أدركوا، في سعيهم الحثيث وتطلّبهم الدؤوب لرحمة الرب ولمشيئته، سرّ الصليب الذي هو موت عن كل خطيئة وحياة أبدية بربنا يسوع المسيح.

## نقاوة القلب

أية رياضة، وأية محاولة، وأي جهاد، وكم من العرق والتفكير والدرس يحتاج المرء ليحوز على نقاوة القلب وقداسة النفس! لا يكفي أن ندرس حياة المسيح فقط لنحوز على هذه النقاوة بل يجب أن تكون الصلاة شغلنا الشاغل وهذيذنا المتواصل. يجب أن نغتصب هذه النقاوة اغتصاباً لنبقى أنقياء القلوب ونفكر بالأمور النافعة وبالروحيات، وأن نبقى بعيدين عن كل ما هو مجرم فاسد خاطئ. ان حياتنا مزدوجة، جسدية وروحية. ينجذب الجسد بالأمور المنحطة الخاطئة ويثور ضد الروح وفي هذه الحالة يصبح الجسد عدوّاً للنفس. يحدث صراع للسيطرة، صراع بين الجسد المنجذب إلى تحت وبين النفس الراغبة بالحياة النقية السامية. فالرجال الذين يعيشون وفقاً لمتطلبات الحياة الجسدية يتركون قلوبهم للرغبات التي توسخ النفس وتفسد العقل. أما أولئك الذين ولدوا بالمسيح فيتغذون بأفكار وأحلام سامية تقودهم من الأرض إلى السماء.

ان السلام الذي يتكلم عنه الرسول بولس سنربحه بنقاوة القلب. ان المسيح «هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً وحلّ السياج المتوسط» (أف ٢:١٤). لقد صار كل شيء من أجل السلام، والحصول على هذا الخير العظيم يستحق كل درس واهتمام وسينال السلام البولسي أولئك الذين يضعونه فوق كل الخيرات فيطردون الحقد المدمر من نفوسهم، والخطيئة التي تبعد السلام عامة. يقطن السلام في القلوب النقية فقط. السلام هبة عظمى، والله نفسه الذي صار إنساناً لم يجد ما هو أسمى من السلام لذلك أراق دمه ليعطي السلام للإنسان. لم يجد بين المخلوقات البشرية ما يشتري السلام به لذلك اتخذ جسداً ودماً وأراق دمه ليخلق خليقة جديدة نقية سلامية، وصار بذبيحته رئيس السلام.

ماذا نطلب نحن الذين نسجد لدم المخلص؟ ماذا نطلب غير تحقيق النقاوة والتقديس اللذين يُدخلان السلام المسيحي للنفس؟ أتريد أن ترى ما الجمال؟ أتريد أن ترى ما اشعاع الفضيلة والقداسة؟ ادرس حياة المسيح. فالمسيح وحده بقي نقياً خالياً من كل خطيئة. «خطيئة واحدة لم يفعل». «ان رئيس هذا العالم قد جاء ولم يجد فيه علة» ولم يستطع حتى أعداؤه الذين ينظرون إليه نظرة اتهام أن يجدوا نقطة دنس في شمس العدالة الروحية. فقد كان ملء القداسة وخلواً من كل خطيئة. يجب أن ندرس حياة المخلّص لكي يسيطر فينا الشوق اللاهب لقداسته. إذذاك نستطيع أن نتشبه به بالفضيلة ونفهم جماله الروحي. المحبة تُنبع الإدراك دائماً. ان حواء رأت الثمرة الممنوعة فأدركتها وانجذبت إليها. «رأت المرأة ان الثمرة صالحة للأكل وانها حلوة في عينيها وجميلة للفم فأخذت من ثمرها وأكلت» (تك٣: ٦).

**القديس نقولا كاباسيلاس**

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**

**www.quartos.org.lb**